﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾

[مريم: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعد ذِكر الإنعام بالشّراب، إتمامُ النّعمةِ بنافع الطّعام

بعد أن ذَكَر النّظمُ الجليلُ في الآية السّابقة ما قال الغلامُ الوليدُ لأمّه مطمئنًا إيّاها بذِكر الجدول الصّغير، أتبعه في هذه الآية بما تأكل منه، وهو النّخلةُ ذاتُ الرُّطَب الجَنيّ، فكما أنّ الله تعالى قد أجرى تحتَكِ نهرًا صغيرًا تشربين منه، قد أثمر فوقَكَ نخلةً تأكلين مِن جناها بلا تعب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَهُزِّيٓ﴾: (هزّ) أَصْلٌ يَدُلُّ على اضْطِرابٍ في شَيْءٍ وحَرَكَةٍ[1]، الهَزُّ: التّحريكُ الشّديد، يقال: هَزَزْتُ الرّمحَ فاهْتَزَّ، وهَزَزْتُ فلانًا للعطاء، واهْتَزَّ النّبات: إذا تحرّك لنضارته[2]، والهَزُّ: تَحْريكُ الشَّيْءِ كَما تَهُزُّ القَناةَ فتَضْطَرِبُ وتَهْتَزُّ، وهَزَّه يَهُزُّه هَزًّا، وهَزَّ به وهَزَّزَهُ، إذا حَرَّكَهُ، وهَزَزْتُ الشيءَ هَزًّا فاهْتَزَّ، أي: حَرَّكْتُهُ فتَحَرَّكَ؛ قالَ: كَريمٌ هُزَّ فاهْتَزّ[3]، والمُراد به في الآية: تحريك الجِذْع بطريق الجَذْبِ والدّفعِ، لقوله تعالى: ﴿إِلَيۡكِ﴾[4].

2) ﴿تُسَٰقِطۡ﴾: (سقط) أَصْلٌ يَدُلُّ على الوُقوعِ[5]، السُّقوطُ: طرح الشّيء، إمّا مِن مكان عالٍ إلى مكان منخفض، كسُقوط الإنسان مِنَ السّطح، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التّوبة: 49]، وسقوطِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هزّ).
(2) الرّاغب، المفردات: (هزز).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (هزز).
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 262.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سقط).

منتصب القامة، وهو إذا شاخ وكَبِر[1]، والسَّقْطَةُ: الوَقْعةُ الشّديدةُ، وسقَطَ يَسْقُطُ سُقوطًا، فهوَ ساقِطٌ: وقَعَ[2]، والمراد به في الآية الكريمة: تسقط، وتفاعل مطاوعُ فاعل، كما أنّ تَفَعَّل مطاوعُ فعَّل[3].

3) ﴿رُطَبًا﴾: (رطب) أَصْلٌ يَدُلُّ على خِلافِ اليُبْسِ، مِنْ ذَلِكَ الرَّطْبُ والرَّطيبُ، ويُقالُ: أَرْطَبَ النَّخْلُ إِرْطابًا، ورَطَّبْتُ القَوْمَ تَرْطيبًا، إذا أَطْعَمتَهُم رُطَبًا، والرِّطابُ مِنَ النَّبْتِ[4]، والرَّطْبُ: خِلاف اليابس، تقول: رَطُبَ الشّيءُ رطوبةً فهو رَطْبٌ ورَطيبٌ، ورَطَّبْتُهُ أنا ترطيبًا، وغُصنٌ رطيبٌ، وريشٌ رطيبٌ، أي: ناعِم[5]، والرُّطْبُ والرُّطُبُ: الرِّعْيُ الأَخْضَرُ مِنْ بُقولِ الرَّبيع[6]، وخُصّ الرُّطَبُ بالرَّطْبِ مِنَ التّمر، قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾، وأَرْطَبَ النّخلُ، نحو: أتمر وأجنى، ورَطَبْتُ الفرسَ ورَطَّبْتُهُ: أطعمته الرّطبَ[7]، والمُراد به في الآية: التّمر الذي لم يتمّ جفافُه[8].

4) ﴿جَنِيًّا﴾: (جني) أَصْلٌ وهو أَخْذُ الثَّمَرَةِ مِنْ شَجَرِها، جَنَيْتُ الثَّمَرَةَ أَجْنيها، واجْتَنَيْتُها، وثَمَرٌ جَنيٌّ، أي: أُخِذَ لوَقْتِهِ[9]، وأكثر ما يُستعمَل الجَنيّ فيما كان غضًّا، وأَجْنَى الشّجر: أدركَ ثَمَرُه، والأرض: كَثُرَ جناها[10]، والمُراد به في الآية الكريمة: ما قُطع قبل يَبْسِه، أي: رُطبًا مَجنيًّا قد طابت وصلَحَت للاجتناء[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر النّظمُ الجليل في هذه الآية أنّ ممّا قالَه عيسى لأُمّه ﷺ: حَرِّكي جِذعَ النّخلةِ، يسقط عليكِ منها رُطَبًا ليّنًا غَضًّا، قد جُنيَ مِن ساعته[12]، "وقد أخذ العلماءُ مِن هذه الآيةِ

(1) الرّاغب، المفردات: (سقط).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (سقط).
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 229.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رطب).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (رطب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (رطب).
(7) الرّاغب، المفردات: (رطب).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 88.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جني).
(10) الرّاغب، المفردات: (جنى).
(11) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 12، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 262.
(12) جماعة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/ 306.

الكريمة، أنّ مباشرةَ الأسباب في طلب الرّزق أمرٌ واجبٌ، وأنّ ذلك لا ينافي التّوكّل على الله، لأنّ المؤمن يتعاطى الأسبابَ امتثالًا لأمر ربِّه، مع عِلْمِه ويقينه أنّه لا يقع في مُلْكِه سبحانَه إلّا ما يشاؤه ويريده، وهنا قد أمر اللّهُ تعالى مريمَ - على لسان مولودها - بأن تَهُزَّ النّخلةَ ليتساقط لها الرُّطَب، مع قدرته سبحانه على إنزال الرُّطَبِ إليها مِن غير هَزٍّ أو تحريك"[1].

الأمر بالأخذ بالأسباب مع توفّر القُدرة

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَهُزِّيٓ﴾:

الجملة في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ معطوفة على قوله جلّ شأنه: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾، وهو من جملة ما قاله عيسى لأُمّه ﷺ[2]، فكما أرشدها إلى الإكرام بوَفْرة المشروب، نبّهها على عظيم الكرامة بطلب هَزّ النّخلةِ للمطعوم، وهو الرُّطَب الجَنيُّ.

الدّلالة على وجود المشروب والمطعوم

سِرُّ التّعبيرِ بالهَزّ في قوله: ﴿وَهُزِّيٓ﴾:

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ الهَزّ دون التّحريك في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾؛ لأنّ التّحريكَ يدُلّ على مطلق الحَركة، أمّا الهَزّ فيُراد تحريكُه إلى الجهات المتقابلة، مع العُنف والتّدارك والتّتابع في التّحريك[3]، وهذا النّوع مِنَ التّحريك هو المطلوب بتكرار الحركة شَدًّا وجَذبًا.

الأخذُ بالأسباب مِن سُنن الله تعالى

دلالةُ تَعَدّي الفعلِ ﴿وَهُزِّيٓ﴾ بـ(إلى):

آثَرَ النّظمُ الكريم تعديَةَ الفعل (هزّ) بحرف الجرّ (إلى) في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾؛ للدّلالة على أنّ التّحريك

الدّلالة على قُرْب المكانِ الذي تَهُزّ منه

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 31.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 30.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 262.

المطلوب منها أن توقعَه على طريقة الجَذْب والشّدّ والدّفع، لأنّ "هَزّ الشّيء تحريكُه إلى الجهات المتقابلة تحريكًا عنيفًا متداركًا، والمُرادُ هاهنا ما كان منه بطريق الجَذْبِ والدّفعِ؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَيْكِ﴾، أي: إلى جهتك"[1]، وذهب بعضُ أئمّة التّفسير: إلى أنّه عُدّيَ بـ (إلى) على طريقة التّضمين، فضُمّن الفعلُ (هزّ) معنى اجذبي أو قرّبي أو أدني، أي: حرّكي جِذعَ النّخلة، بأن تُقَرّبيه منه وتَجْذبيه إليك، فيَدْنو إليكِ ويلينُ بعدَ اليُبْسِ، ويُسْقطُ عليكِ رُطبًا جنيًّا[2]، وفيه إشارةٌ إلى تخصيصها بذلك دون غيرها.

دلالة الباء في: ﴿بِجِذْعِ﴾:

دفعُ إنكارِ هَزِّ مريمَ لجذعِ النّخلةِ لضَعْفِها

أدخل النّظمُ الجليل الباءَ في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾؛ لتوكيد لصوقِ الفعل بمفعوله، وفيه دلالةٌ على أنّ ما تَهُزّه هو الجِذْعُ ذاتُه؛ لأنّ فعل الهَزّ يتعدّى بنفسه بلا حرف جرّ[3]، وفائدة دخول الحرف هنا أنّ العادة قد جرت بأنّ النّخل لا يُهَزّ في جَني ثَمَرِه، فجاءت متعدية بالباء لتأكيد أنّ المطلوب هو هَزُّ الجذع ذاتِه لا غيره، إيقاعًا للكرامة بأدنى سبب.

وممّا يُذْكَر في سِرّ دخول الباء في قوله: ﴿بِجِذْعِ﴾، الدّلالة على تسهيل وصولِ الرّطَب إليها، ذلك أنّها تَهُزّ في مكانٍ هو الجِذع، وتتساقطُ عليها الرّطَب مِن عَلٍ؛ وذلك بلا ريب تسهيلًا للوصول، فلا تَهُزّ مِن أعلى، بل تَهُزّ بمكانٍ قريب منها؛ مراعاةً لحالتها التي هي فيها مِن النّفاس، ومعلومٌ أنّ الحركة الكثيرة تتعبها[4].

سِرُّ التّنصيص على جِذْع النّخلة:

نَصّ النّظمُ الجليل على أنّ المطلوب تحريكُ الجِذع لا النّخلةِ في

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 262.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 227، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 88.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 12، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 31.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4629.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾؛ لأنّ المقصود إظهارُ النّافعِ مِن بليغ الكرامات على يدها تسكينًا لروعها، فأَمَرها بهَزّ الجذع المَيّت الذي لا حياةَ فيه؛ ليريَها آيةً أُخرى[1]، فكان المقصودُ التّهويلَ لصَرف فكرِها عمّا دهمَها مِنَ الهَمّ، ولم يكن في الجِذع ما يُتوقَّع نفعُه بهَزّه ليُبْسِه، وكون الوقت ليس وقتَ إثمارِها[2]، ولكي ترى آيةً أُخرى في إحياء مَواتِ الجِذع؛ ليكون ذلك تسليةً لها وإذهابًا لهمّها وغَمّها.

إيجادُ الثّمر مِن جِذعٍ أظهرُ في الكرامة وأبلغُ في التّسلية

دلالة (أل) في: ﴿ٱلنَّخۡلَةِ﴾:

عرّف النّظمُ الجليل لفظَ النّخلة بالألف واللّام في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾؛ إشارةً إلى النّخلة التي هي تحتَها وبجانبها، فهي للعهد؛ لأنّها نفسُ النّخلةِ التي ألجأها إليها المخاضُ المَذكور في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾، فأمَرَها بهَزّ النّخلة التي هي أقربُ شيءٍ إليها؛ لتَظهرَ الكرامةُ التي تُسَكّنُ فؤادَها بأدنى جَهْدٍ وأيسرِ سبب.

إظهارُ الكرامة بأدنى جهدٍ وأيسرِ سبب

دلالةُ فصْل قولِه: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ عمّا قبلَها:

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ المبدوءة بالفعل ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾؛ لأنّها سيقت مساقَ الاستئناف التّعليليّ؛ فلمّا أمرها بهَزّ النّخلة التي هي مُجَرّدُ جِذْعٍ عديمِ الحياة، فكأنّ ذلك أثار سؤالًا لدى مريمَ، فأجاب من غير ذِكْر السّؤالِ؛ لأنّ السّياق يقتضي أنّ هناك تساؤلًا عن علّة الهَزّ، فكأنّه قيل: "ولِمَ ذاكَ؟ فقال: ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ﴾ مِن أعلاها ﴿رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾"[3].

ظاهرُ الأمرِ الغريبِ يَحوجُ إلى الاستئناف للتّعليل

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 11.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 189.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 189.

دلالةُ تعدّدِ القراءات في قوله: ﴿تُسَاقِطْ﴾:

تعدّدتِ القراءاتُ في قوله تعالى: ﴿تُسَاقِطْ﴾، فقرأ حمزةُ بفتح التّاء وتخفيف السّين وفتح القاف ﴿تَسَاقَطْ﴾، وأصلُه (تَتَساقَط)؛ فحُذِفت إحدى التّاءين، وعلى هذه القراءة يكون قولُه: ﴿رُطَبًا﴾ تمييزًا مُحَوّلًا عنِ الفاعل، وقرأ حفصٌ ﴿تُسَاقِطْ﴾ بضمّ التّاء وكسرِ القاف وتخفيف السّين، وعلى هذه القراءة يكون قولُه: ﴿رُطَبًا﴾ مفعولًا به للفعل الذي هو ﴿تُسَاقِطْ﴾ هي؛ أي: النخلة رطباً، وقرأ يعقوب وشعبة بخُلْف عنه بياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف: ﴿يَسَّاقَطْ﴾، وأصله (يتساقط)، فأُدْغِمَت إحدى التّاءين في السّين، ويكون قولُه: ﴿رُطَبًا﴾ تمييزًا مُحَوّلًا عنِ الفاعل، وقرأ باقي القرّاء بفتح التّاء والقاف وتشديدِ السّين: ﴿تَسَّاقَطْ﴾، وأصله (تتساقط)[1].

دلالةُ تقدّم الجارّ والمَجرور:

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة مِنَ الجارّ والمجرور ﴿عَلَيْكِ﴾ على المفعول به ﴿رُطَبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾، فلم يقل: (تساقط رطبًا عليك)؛ للدّلالة على أنّها تساقط ذلك الجَنى عليها على وجه الاختصاص، فهي أثمرت لمُجَرّد إكرامِها، وبسببها، فهي كرامَةٌ خاصّةٌ بمريم عليها السلام.

تعظيمُ الكرامة بجعلها خاصّةً بمَن سيقت له

سِرُّ التّعبير بـ ﴿رُطَبًا﴾:

آثَرَ النّظم الكريم التّعبيرَ بالرّطب دون التّمر في قوله تعالى: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾؛ لأنّ السّياق سياقُ إكرامٍ وامتنانٍ وتسليةٍ، فكان إكرامُها أن يكون على وجه التّمام، ومِن تمامه أن يكون ثَمَرُ النّخلةِ على أتمّ أشكالِه وأحسنِه، فأعطيَت "رُطَبًا دونَ التّمرِ؛

مِن تمام الإكرام أن يأتيَ الرّزقُ حسنًا ليّنًا، تشتهيه النّفسُ وتَسُرّ العينَ رؤيتُه

(1) ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص: 409، وابن الجزري، النشر: 2/ 318، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 253.

لأنّ الرُّطَب أشهى للنّفس؛ إذ هو كالفاكهة، وأمّا التّمرُ فغذاء"[1]، كما أنّه أكثرُ لينًا، وأسرعُ تغذيةً، وهذا أنسبُ لِمَن تعاني آلامَ المخاض.

دلالةُ التّعبير بـ: ﴿جَنِيًّا﴾:

كمال الانتفاع به لاكتمال نُضْجِه

دلّ التّعبيرُ بقوله: ﴿جَنِيًّا﴾ على أنّ الرُّطَب قد طاب وصَلُحَ للاجتناء، وهذا دليلٌ على كمال الانتفاع به لاكتمال نُضْجِه.

دلالةُ التّنكير في: ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾:

مِـــن عـظـيـم الإكرام أن يكون الـرّطَـبُ وفـيرًا غزيرًا

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ عنِ الرُّطَب الجَنيّ بصيغة التّنكير، في قوله تعالى: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾؛ لما في التّنكير مِن دلالةٍ على التّكثير والتّفخيم، فهو رزقٌ وفيرٌ يكفيها ما تحتاجه مُدّةَ لُبْثِها ثَمَّ، ريثما تشتدّ فتقوى على الرّجوع إلى أهلها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 87.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»